

الدين النصيحة

في حياة الناس يقع الخير والشر والصدق والكذب.
والناس منهم محسنٌ ومسيءٌ ومُصلحٌ ومُفسدٌ، ومتّقٍ وفاجر.
والله - جلّ وعلاً - قد جعل الدنيا دارَ ابتلاءٍ وامتحانٍ؛ ليميز الخبيث من
الطيب.

﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ ^(١) ۝
﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ
فَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَتَقَفُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ^(٢) ۝
والناسُ في الحياة مدعوون إلى الخير مأمورون به. ومبتلون به وبالشرِّ معاً، بما
يجبون وبما يكرهون؛ ليستبين شكرُهم وصبرُهم أو كفرُهم وجَزَعُهم، وإلى الله
مصيرُهم، وبين يديه حسابُهم وجزاؤهم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۚ وَنَبْلُوكُمْ
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۚ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ ^(٣) ۝

(١) الملوك : ٢٠١.

(٢) آل عمران : ١٧٩.

(٣) الأنبياء : ٣٥.

وفي استجابة الناس إلى دعوة الخير حياة، وفي اتباعهم فوزاً ونجاة ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١)

ودعوة الخير تقوم على النصيحة، والنصيحة كلمة يُعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصيح في اللغة: الخُلوص، تقول: نصحتُ العسل إذا خلصته من الشمع. وناصحُ العسل: خالصه، ونصحتُ الجلد: خبطته. والناصح: الخياط، والنَّصَاحُ: الخيط.

فالنصح إذن إخلاص وإحكام ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٢)

روى مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَتِهِمْ»^(٣) وأخرج الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يُنس ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولأمامه ولعامة المسلمين فليس منهم»^(٤)

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) التحريم: من الآية ٨.

(٣) رواد مسلم.

(٤) رواد الطبراني.

إن النصيحة تشمل خصال الإسلام كلها، ولذا نرى رسول الله ﷺ قد قصر الدين عليها فقال: « الدين النصيحة » فالنصيحة لله: الإيمان به، ونفي الشرك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بأوصاف الكمال، وتنزيهه عن النقائص، وطاعة أمره واجتناب نهي، والحب فيه والبغض فيه، والجهد في سبيله. وإن عرض لك أمران - أحدهما لله والآخر للدنيا - بدأت بحق الله تعالى وآثرت رضاه على كل شيء.

وبالنصيحة لله تتحدد مكانتك عند الله تعالى بفوز أو خسران، بنجاة أو هلاك، فإن نصحت لله نجوت وإلا هلكت.

في مراسيل الحسن - رحمه الله - عن النبي ﷺ قال: « أرايتم لو كان لأحدكم عبدان، فكان أحدهما يطيعه إذا أمره، ويؤدي إليه إذا أئتمنه، وينصح له إذا غاب عنه، وكان الآخر يعصاه إذا أمره، ويخونه إذا أئتمنه، ويعُشُّه إذا غاب عنه كانا سواء ؟ قالوا: لا. قال: فكذا أنتم عند الله ﷻ »

والنصيحة لكتابه: الإيمان به، وتحليل ما أحله، وتحريم ما حرَّمه، والاهتداء بما فيه، والتدبر لمعانيه، وتفهم علومه وأمثاله، والدعاء إليه، والمحافظة عليه. والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته، والتمسك بطاعته، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بأدابه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: إعانتهم على الحق، طاعتهم فيه، وتذكيرهم به في رفق وعدل، وحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب إعزازهم في طاعة الله ﷻ. والنصيحة للمسلمين. أن يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، أن يرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم، وأن يحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، وأن يكف الأذى عنهم، وأن يعلمهم ما جهلوه، وأن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وأن يعمل على نصرهم وفوزهم، وأن يرشدهم إلى مصالحهم في دنياهم وآخرتهم.

أخي المسلم:

أرأيت لِمَ حصر رسولُ الله ﷺ الدينَ في النصيحة، فقال: « الدين النصيحة » ؟

إنَّ النصيحة - كما رأيت - تشمل خصال الإسلام كلها.. ولذا فإن الأعمال قد تُرفع عن العبد في بعض الحالات، ولا يرفع عنهم النصح لله؛ لأنها قد تكون عملاً من أعمال القلب إذا عجزت الجوارح - وهي من أعماله دائماً في إخلاص النية لله ﷻ، وبممكنك أن تتدبر قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)

إنَّ الله قد سماهم محسنين؛ لنصحهم لله بقلوبهم وقد عجزوا عن الجهاد بأنفسهم.

إن إخلاص نيتهم وصدق عزيمتهم ونصحهم لله ورسوله - بالإيمان والطاعة - ظاهراً وباطناً قد حقق لهم أجر المجاهدين، بل جعلهم محسنين، والله معهم والله غفور رحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٢)

أخي المسلم:

إنَّ أنصحَ النَّاسِ لك من خافَ الله فيك. واحذر في نصحك أن تُشهرَ بمن تنصحه؛ فقد كان السلفُ - رضوان الله عليهم - إذا أرادوا نصيحة أحدٍ وعظوه سراً حتى قال بعضهم: « مَنْ وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهو نصيحة، ومن وعظه على

(١) التوبة : ٩١ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

رءوس الناس فإنما وبَّخه».

وقد سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن أمر السلطان بالمعروف ونهيهِ عن المنكر، فقال: إن كنت فاعلاً ولا بُدَّ ففيمَا بينك وبينه.

وكان النبي ﷺ ينهى عن الشيء ولا يُسمِّي فاعله، وكان يقول: « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا »^(١)

اللهم طهر قلوبنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، ووقفنا لخالص القصدِ وصالحِ العمل.



(١) رواد أبو داود.